



فرع النيل البيلوzy خلال عصر الدولة الحديثة

د. إيمان أحمد نور الدين أبوبكر

مدرس تاريخ وحضارة مصر القديمة- كلية الآداب جامعة قناة السويس

emanaa62@gmail.com

د. هشام محمد حسين

مدير عام آثار سيناء

hecham.husein@gmail.com

المستخلص:

مر نهر النيل بالعديد من المراحل والتقلبات التي أثرت على الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخية في مصر، حيث كان لتطور فروع النيل الأثر الواضح في اختيار مواقع المدن والقرى والتجمعات السكنية بمنطقة دلتا النيل، كما أثر ذلك سلباً في تغيير مواقع بعض المدن والعواصم تبعاً لتطور وتغير أفرع النيل عبر العصور. هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه تطور ساحل البحر المتوسط في تغيير شكل الدلتا وأفرع النيل وأيضاً ظهور مدن جديدة واندثار مدن أخرى. وسوف يتركز البحث على إبراز مسار ودور فرع النيل البيلوzy خلال عصر الدولة الحديثة، والذي يعد من أهم الفروع المندثرة لنهر النيل. والفرع البيلوzy هو أحد الفروع الثلاثة الأساسية لنهر النيل لكنه فرع مندثر، يقع مصبه في أقصى الشرق، وقد ذكره العديد من المؤرخين والجغرافيين في العصور الكلاسيكية، أما في العصور الوسطى فلم يرد ذكره. كان الفرع البيلوzy صالحاً للملاحة حتى عام ٣٣٢ ق.م، عندما دخل الإسكندر مصر، حيث أدخل أسطوله من خلال الفرع.

الكلمات المفتاحية:

فرع النيل البيلوzy، عصر الدولة الحديثة، المنطقة الشمالية الغربية لسيناء، ساحل البحر المتوسط، الفرع التنيسي

خلال العصور التاريخية المختلفة، مر نهر النيل بالعديد من المراحل والتقلبات التي أثرت على الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخية في مصر، حيث كان لتطور فروع النيل الأثر الواضح في اختيار مواقع المدن والقرى والتجمعات السكنية بمنطقة دلتا النيل، كما أثر ذلك سلباً في تغيير مواقع بعض المدن والعواصم تبعاً لتطور وتغير أفرع النيل عبر العصور. هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه تطور ساحل البحر المتوسط في تغيير شكل الدلتا وأفرع النيل وأيضاً ظهور مدن جديدة واندثار مدن أخرى.

يمكن التماس بعض التطورات والتغيرات الجغرافية، من خلال ماورد في المصادر التاريخية المختلفة ونتائج الكشوفات الأثرية والجيولوجية الحديثة في المنطقة المحصورة بين الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة سيناء ووادي الطميلات، سواء التي حدثت بفعل الطبيعة أو بفعل الإنسان، منذ بداية العصور التاريخية إلي الوقت الراهن - الذي تغيرت فيه جغرافيا المكان بصورة ملحوظة - وتأثير ذلك على الجانب الحضارى، لذلك سوف يتركز البحث على إبراز مسار ودور فرع النيل البيلوزي خلال عصر الدولة الحديثة، والذي يعد من أهم الفروع المندثرة لنهر النيل.

فروع النيل قديماً:

ناقشت العديد من الدراسات المنظومة المائية الخاصة بفروع النيل القديمة، حيث اهتم الباحثون والمؤرخون بتحقيق وتحديد مسارات ومصبات فروع النيل القديمة، في محاولة لتحديد معالم دلتا النيل وتطورها، خاصة المنطقة الواقعة أقصى شرق الدلتا "منطقة مصب الفرع البيلوزي القديم ووادي الطميلات"، وطبقاً للكشوفات الحديثة سواء على الساحة الأثرية أو الجيولوجية بات مطلوباً أن يتم الربط بين ما ذكره المؤرخون والجغرافيون على حد سواء في العصور الكلاسيكية والعصور الوسطى، وبين الدراسات العلمية الحديثة لتلك المنطقة.

تميزت منطقة شرق الدلتا قديماً بحدودها الطبيعية، التي تنوعت ما بين المستنقعات والبحيرات والصحراء، والتي شكلت عقبات طبيعية قوية في وجه المعتدين. أما نهر النيل فهو شريان الحياة، موزع كل شيء من الغرين والماء إلى الطبوغرافيا والزراعة (جمال حمدان: ١٩٦٧، ص ١٣٩). ومنذ العصور القديمة كانت مسارات فروع دلتا النيل تتغير تبعاً لتطور النهر، مما يؤثر بالسلب أو الإيجاب على مساحة الدلتا (محمد رمزي: ١٩٩٤، ص ٢٨)، وأيضاً على توزيع التجمعات البشرية والمدن حول مسار وفروع نهر النيل.

تعددت المصادر التاريخية التي تحدثت عن فروع النيل، حيث أثبتت جميعها أنها كانت في تطور مستمر خلال العصور التاريخية، وقد ذكر المؤرخون والجغرافيون في العصر الكلاسيكي أن نهر النيل كان يتفرع إلى سبعة أفرع ومنهم ما زاد على ذلك*. ونلتمس من الأمر بعض الغموض وعدم الدقة، فضلاً عن تضارب الروايات، فأعداد الفروع وأسمائها يختلف بعضها ما بين المؤرخين وبعضها يتفق، ولم يكن هناك إجماع على أعداد أفرع الدلتا ولا على أسمائها، بالإضافة إلى أن مسارات الأفرع نفسها ليست دائماً واضحة المعالم، وقد تتعارض فيما بينهم جميعاً (Gardiner A., 1968, p153-159).

* تحدث بليني في القرن الأول الميلادي عن نهر النيل في كتابه (Natural History V) أن له ما لا يقل عن ستة عشر فرعاً.

وبفضل مجهود المتخصصين أمكن التوفيق بينها بما فيه بعض الكفاية، كما فعل طوسون وبول وبيتاك (Toussoun, O., 1922, p. 1-60; Ball., 1942; Bietak, 1975)، مع الأخذ في الاعتبار أن كلاً من نصوص المحققين واجتهاداتهم والخرائط التي قدموها ربما قد لا تعبر عن الحقيقة العلمية بصورة قاطعة.

فروع النيل في مصادر العصر الكلاسيكي:

- **هيرودوت** (القرن ٥ ق.م): قسم فروع الدلتا لمجموعتين: مجموعة رئيسية وهي ثلاث: الفرع البيلوزي نسبة إلى مدينة بيلوز (موقع تل الفرما حالياً - شمال سيناء) مدينة مصب الفرع في البحر المتوسط، الفرع السبنتي نسبة إلى سبنتيوس (سمنود الحالية)، والكانوبي وهو الفرع الغربي والرئيسي الثالث الذي كان يصب عند مدينة كانوب، المدينة المصرية القديمة التي كانت تقع الي الشرق من الإسكندرية. بالإضافة إلى مجموعة أخرى ثانوية تتفرع من الفروع الرئيسية وهي أربعة: السايسي نسبة إلى سايس (موقع صا الحجر حالياً)، المنديزي نسبة إلى منديس (تمي الأمديد)، البوكولي وهو مجرى غير طبيعي، يتفق مساره مع الجزء الأدنى من فرع دمياط، البولبيتي وهو مجرى غير طبيعي (جمال حمدان: ١٩٦٧، ص ١٩٣؛ Tr. (Macaulay G. C., 1890, ii, p. 17).

- **بطليموس الجغرافي** (القرن ٢ ق.م): تفرد بين المصادر الكلاسيكية بأنه الجغرافي الوحيد بين المؤرخين الذي ميز بين الفروع والمصببات، فيذكر ستة أفرع وتسع مصبات تنتهي إليها تلك الفروع. ومن الفروع ما هو مجرى غير طبيعي، كما أن من المصببات ما هو زائف*. ذكر بطليموس الفرع البيلوزي باسم الفرع البوبسطي وذلك لأن أشهر المدن القريبة من بداية الفرع مدينة بوباسطة (تل بسطة بالشرقية) ، بينما ذكر فم - مصب هذا الفرع باسم الفم البيلوزي (Ball J., 1942, p. 124). وذلك لقرب المصب من مدينة بلوزيوم (تل الفرما بشمال سيناء)** . وتشير بعض المصادر إلى فرع ناقص أو متدهور وهو الفرع القلزمي "نسبة لتل القلزم بالسويس" أو مسماه الأخر الطميلاتى "نسبة لوادي الطميلات بالإسماعيلية" وهما اسمان لمسمى واحد، حيث يتفرع قبل الفرع البيلوزي ويتجه شرقاً ليتصل بالبحيرات المرة ثم ليخترقها جنوباً إلى البحر الأحمر عند مدينة القلزم القديمة (كوم او تل القلزم الحالي بالسويس). ويبدو أن الفرع القلزمي (أو الطميلاتى) الذي كان يسير بوضوح فى وادي الطميلات الحالي قد سبق القنوات الصناعية إلى البحر الأحمر (جمال حمدان: ١٩٦٧، ص ٢٠١).

- **سترابو** (القرن ١ ق.م): ذكر سبعة من فروع النيل، يشترك معظمها في الأسماء وبعضها في المسارات مع ما ذكره هيرودوت. لاحظ سترابو أن الفرع البيلوزي في أقصى الشرق والفرع الكانوبي في أقصى الغرب يشكلان معاً حدود الدلتا، وبينهم يوجد خمسة أفرع أخرى، بالإضافة إلى عدد آخر من الفروع ولكن ليس لها مصبات على البحر المتوسط (Strabo's Geography, 1903, vol. XVII.I.5) ، وإنما تصب داخل خلجان وبحيرات أو أماكن مفتوحة تمثل مفيض (سياحات) لتلك الفروع.

* المصبب الزائف: هو مخرج صناعي حفره الإنسان عبر الشريط الساحلي الضيق بين البحيرات والبحر ليوصل إلى الأخير فرعاً يصب طبيعياً في إحدى تلك البحيرات فقط ودون أن يكمل طريقه إلى البحر.

** كان المؤرخون والجغرافيون ومن قبلهم المصريون القدماء يطلقون على فروع النيل أسماء أشهر المدن الواقعة بالقرب منها، ومازال إلى الآن يُتبع ذلك مع القنوات والترع والمصارف التي يتم حفرها (ترعة الإسماعيلية - ترعة القنطرة - مصرف بالوطة - مصرف تل حبة).

- جورج القبرصي (القرن السادس)* : ذكر فروع النيل في إشارة عابرة موجزه، ورد فيها أن نهر النيل في منطقة الدلتا له سبع مصبات، ولم يذكر من بين الفروع ولا المصببات الفرع البيلوزي، ويستنتج من ذلك انه قبل بداية القرن السابع الميلادي اندثر واختفى الفرع البيلوزي (Ball J.,1942,p.176-177;) .by Gelzer H.,1890).

فروع النيل خلال مصادر العصور الوسطى:

ذكرت الروايات العربية وكتب التاريخ أن عدد فروع النيل لم يتعد الثلاثة، وأن فرعى دمياط ورشيد احتلا الصدارة فيما تبقى من فروع النيل، مع الوضع في الاعتبار أنهما لم يستقرا بشكلهما الحالي إلا خلال القرن العاشر الميلادي (جمال حمدان: ١٩٦٧، ص ٢٠٥؛ Guest A.R.,1912,p.941-5).

الفرع البيلوزي:

هو أحد الفروع الثلاثة الأساسية لنهر النيل لكنه فرع مندثر (Burton A.,1972,p.130) ، يقع مصبه في أقصى الشرق، حيث حدد بطليموس الجغرافي موقع فم الفرع البيلوزي أنه يقع على بعد حوالي ٧ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة بيلوزيوم – تل الفرما (Ball J,1942,p.58)، ذكره العديد من المؤرخين والجغرافيين في العصور الكلاسيكية، أما في العصور الوسطى فلم يرد ذكره. كان الفرع البيلوزي صالحا للملاحة حتى عام ٣٣٢ ق.م، عندما دخل الإسكندر مصر، حيث أدخل أسطوله من خلال الفرع (علماء الحملة الفرنسية ، ١٩٨٤ ، ص ٢٢).

اكتسب الفرع البيلوزي اسمه من اسم المدينة التي يقع مصبه بالقرب منها، حيث سميت (بيلوزيوم- بيلوز - بيلوزة - الفرما)* ، وهي مدينة مصرية قديمة ، اسمها في اليونانية يعنى الطين والوحل (أحمد زكي بك: ١٩٨٨، ص ٢٩) ، وصفها علماء الحملة الفرنسية بأنها تقع على الطرف الشرقي لبحيرة المنزلة، بين البحر والكتبان ووسط سهل قافل ، ويعبر الفرع البيلوزي الذى تضائل ليصبح قناة كبيرة تملؤها الأوحال هذا السهل بادئا من البحيرة إلى البحر ، ويوجد على شاطئ هذه البحيرة قصر الطينة** الذى انهار أنقاضا بعيدا عن الشاطئ بمسافة كافية ، أما خرائب منطقة الفرما فتقع إلى الشرق من بيلوز نحو البحر (علماء الحملة الفرنسية ، ١٩٨٤ ، ص ٤٣) ، وتعرف حاليا المنطقة باسم قرية بالوطة والتي تقع إلى الجنوب الشرقي من أطلال مدينة الفرما القديمة، ومؤخراً أصبحت المنطقة كلها ضمن حدود أحد المدن الجديدة والمعروفة باسم "سلام مصر". لم يختلف اسم الفرع البيلوزي بين مؤرخي العصور الكلاسيكية، إلا أن كلاوديوس بطليموس (الشهير ببطليموس الجغرافي) أطلق عليه الفرع البوبسطى حيث ذكر الفم البيلوزي للفرع البوبسطى (Ball J, 1942, p.124).

* جورج القبرصي ربما يكون آخر مؤرخي العصر الكلاسيكي له كتاب باليونانية وصف فيه العالم الروماني في نهاية القرن السادس الميلادي. ** قصر الطينة: هي قلعة عسكرية كانت تشرف على الحدود الشرقية وتخدم طريق القوافل التجارية، تقع عند الكيلو ٣٢ طريق بالوطة - بورفؤاد وأجريت بها حفائر مصرية، كشفت عن خزانات مياه ومنطقة صناعية، تؤرخ بالعصر الملوكي شيدها قنصواه الغوري عام ١٥٠٨م.

اهتم العديد من الباحثين بدراسة المنطقة الشمالية الغربية لسيناء، وذلك لتحديد مسار الفرع البيلوزي ورافده، بالإضافة إلى تحديد خط ساحل البحر المتوسط خلال العصور التاريخية، وساعدهم في ذلك التوسع في أعمال الحفائر ودراسة المواقع الأثرية بالمنطقة. بدأت الدراسات العلمية للمنطقة خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي لسيناء، وحتى وقت حديث. وخلصت الدراسة إلى تحديد مسار الفرع البيلوزي في المنطقة الواقعة بين بحر البقر وحتى المصب بالقرب من تل الفرما، بالإضافة إلى تحديد مسار رافدين من روافد الفرع البيلوزي.

وطبقاً للدراسات المنشورة خلال فترة الاحتلال، فإن الفرع البيلوزي (خريطة - ١) كان يمر من بحر البقر في اتجاه الشرق ويتقاطع مع قناة السويس جنوب بورسعيد بحوالي ٢٦ كم وصولاً إلى تل الفرما، حيث تقدر المسافة التي يقطعها من قناة السويس إلى المصب بحوالي ٢٣ كم أما عرضه فيقدر بحوالي ١٠٠:٨٠م. تقع نقطة تفرع الرافد الأول "رافد تل الفضة"* على بعد حوالي ٣ كم شرق قناة السويس، ويمتد إلى الشمال مسافة ٧.٥ كم حتى تختفي معالمه. أما الرافد الثاني "رافد تل اللولى**"، فتقع نقطة تفرعه على بعد ١٠ كم غرب تل الفرما، ويمتد إلى الشمال لمسافة ٤.٥ كم حتى تختفي معالمه. ويقدر عرض كلاً من الرافدين حوالي ٨٠ م تقريباً. تم استخدام الكربون ١٤ في تحديد عمر عينات القواقع التي اختيرت من أماكن محددة من مسار الفرع، حيث تبين أن الفرع البيلوزي وروافده، تنتهي إلى ساحل البحر المتوسط خلال القرن الأول الميلادي (٢٥م) (Senah A. and Weissdrod T.,1973,p.59-61)، وطبقاً لأعمال الحفائر في تلك المنطقة تبين أن جميع المواقع الأثرية المكتشفة، والتي من المرجح أنها كانت تقع على مسار الفرع البيلوزي سالف الذكر تؤرخ بالعصر البطلمي والروماني.

ظهرت بعد ذلك الدراسة التي قام بها فريق العمل الأثري والجيولوجي التابع للبعثة النمساوية العاملة بتل الضبعة، والتي كان من نتائجها استحداث خريطة توضح الاحتمالات المطروحة لتطور مسار فرع النيل البيلوزي، بداية من نقطة تفرعه وحتى المصب في أقصى الشرق، بالإضافة إلى اقتراح أماكن البحيرات والمستنقعات المتوقع وجودها عند المصب، واعتمدت الدراسة على الخرائط الكونتورية القديمة التي تُظهر في كثير من الأحيان الحواف والعيالي الخاصة بالفروع والمصببات والمصافي القديمة للنيل والدراسات الميدانية بالإضافة إلى المجسات الاختبارية (Bietak M.,1996,p.1). وخلصت الدراسة إلى القول باحتمالية تطور مسار الفرع البيلوزي إلى أربعة مراحل تبدأ من الجنوب وتتجه إلى الشمال وجميعها تصب في البحر المتوسط، وقد تم تحديد مسار المرحلة الأولى التي يتجه فيها الفرع البيلوزي شرقاً مروراً بالبحيرات المنذرة الغربية والشرقية شمال شرق القنطرة شرق، ثم يتجه إلى الشمال بين تل حبوة ١ وتل حبوة ٢ ليصب في البحر المتوسط (Bitak M,1981,p.271-283).

خلال أعمال المسح الأثري المصري - الفرنسي المشترك عام ١٩٩٢ للجزء الشمالي الغربي لمنطقة شمال سيناء (Valbelle D.,and Others,1992,p.11-22) تمكن الفريق الجيولوجي المصاحب للبعثة من الدمج بين المعلومات الأثرية المكتشفة حديثاً ونتائج التفسير والاستنباط لصور

* تل الفضة: يقع على بعد ١٧ كم إلى الشمال من مدينة القنطرة شرق، أجريت فيه حفائر مصرية مواسم ١٩٩٤-١٩٩٦، حيث ثبت أنه وفقاً لموقعه الإستراتيجي ولقربه من ساحل البحر المتوسط ووقعه على مسار الفرع البيلوزي فقد لعب دوراً تجارياً مهماً خلال العصر البيزنطي، تم تأريخ اللقى الأثرية بداية من أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي، بالإضافة إلى بقايا من القرن السابع الميلادي.

** تل اللولى: يقع على بعد ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة القنطرة شرق، وهو عبارة عن ربوة مرتفعة تظهر على سطحها العديد من الشواهد الأثرية. أجريت بالموقع حفائر مصرية في مواسم ١٩٩٥-٢٠٠٠م، ثبت أنه يقع على شاطئ احد روافد الفرع البيلوزي خلال العصر الروماني، تم الكشف به على منشآت من الطوب اللبن ترجع إلى العصر البيزنطي، بالإضافة إلى حمام من الطوب الأحمر وعدة مباني ترجع إلى العصر الروماني.

الاستشعار عن بعد، حيث تم رسم خريطة جيومورفولوجية لمنطقة شرق الدلتا، يخصنا فيها الجزء الشمالي الغربي من سيناء، حيث تم فيها اقتراح مسار الفرع البيلوزي حتى المصب، بالإضافة إلي اقتراح أماكن عدد من البحيرات التي كانت موجودة خلال نشاط الفرع البيلوزي، أيضا تم تحديد مراحل تطور ساحل البحر المتوسط خلال الفترات التاريخية المختلفة (Marcolongo B., 1992, p.23-31, fig.1).

دراسة أخرى قام بها الفريق الجيولوجي المصاحب لبعثة الآثار الأمريكية العاملة بتل البرج - شمال سيناء استنادا إلى الصور التي التقطت بواسطة القمر الصناعي الأمريكي (CORONA)* والدراسات الحقلية، بالإضافة إلى المجسات الاختبارية، حيث تم تحديد أحد مسارات الفرع البيلوزي والذي ظهر جلياً في صور القمر الصناعي (صورة - ١)، وساعدت الصور أيضا في الكشف عن مجرى نهري مطمور بالرمال (هو رافد من روافد الفرع البيلوزي) كان يمر خلال تل البرج شمال.

وطبقا لدراسة البعثة الأمريكية ثبت أن المجري المكتشف (خريطة - ٢) ربما كان جزء من نظام تصريف الفرع البيلوزي بلغ عرضه ١٢٠م بعمق ٣م*، ومن خلال دراسة الفخار المكتشف في المجسات والعينات التي أجرى لها اختبار كربون ١٤، يتضح أن وصول هذا المجري النهري إلى منطقة تل البرج يرجع إلي عصر الدولة الحديثة، أيضا تم تحديد خط ساحل البحر المتوسط خلال عصر الدولة الحديثة (Hoffmeier J. K. & Moshier S. O., 2006, p.167-176)، بالإضافة إلي تأكيد وجود رافد من الفرع البيلوزي والذي يمر بين موقعي حبة ١ وحبة ٢ وبذلك يؤرخ كلا الرافدين (رافد حبة- ورافد تل البرج) بعصر الدولة الحديثة (Moshier S. O., and El-Kalani A., 2008, p.450-473).

مراحل تطور مسار الفرع البيلوزي:

من خلال الطرح السابق لمسار الفرع البيلوزي وروافده، يتضح أن الجزء الأقصى شرقا من الدلتا مر بمراحل تطور وبمجموعة من التغيرات حتى استقر علي مساره الحالي، وقد ساعد المزج بين الدراسة الأثرية متمثلة في دراسة مواقع الآثار وتوزيعها الجغرافي، والدراسة الجغرافية والجيومورفولوجية للمنطقة في الوصول إلى استنتاجات - تقارب الحقائق العلمية- عن المنطقة في محاولة لإعادة تمثيل الوضع الجغرافي القديم، وإعادة بناء خريطة المجاري المائية بمنطقة الحدود الشرقية، ونظام التصريف النهري بها والقنوات الصناعية خلال الفترات التاريخية، وهي محاولة للتعرف على جغرافية الجزء الشمالي الغربي من سيناء - مدخل مصر الشرقي. وتعتبر أعمال الحفائر الأثرية التي تتم في مناطق التجمعات السكنية والحيوانات الموجودة على ضفاف فروع النيل القديمة، من أفضل الطرق للحصول على المعلومات المؤكدة والكافية لتأريخ فروع النيل والبحيرات القديمة التي تم التعرف على أماكنها من خلال أعمال التنقيب، ولذلك يتم تأريخ هذه الفروع النيلية والبحيرات عن طريق تأريخ التجمعات البشرية (مواقع الآثار) الموجودة على ضفافها وهو ما يتم حاليا في جميع مواقع آثار الدلتا من خلال أعمال الحفائر.

* الصور الملتقطة بواسطة القمر الصناعي (CORONA) هي مجموعة من الصور عالية الجودة تم التقاطها لسهل الطينة منذ ٥٠ عام قبل التطور السريع للمنطقة، كل صورة منها تغطي مساحة ٢٢١×١٤ كم، التقطت الصور في شهر ديسمبر عام ١٩٦٧م وشهر مايو ١٩٦٨م في فصل الشتاء حيث الأرض محتفظة بالرطوبة ومنسوب المياه الجوفية عالي، مما ساعد علي ظهور المعالم الجيومورفولوجية للمنطقة. * تم إجراء مجس اختباري في مسار القناة، بالإضافة إلي وجود مصرف زراعي يقطع القناة ظهر فيه قطاع أفقي ورأسي للقناة النيلية.

يتضح من الدراسات السابقة أن كثير من الباحثين انصب اهتمامهم على دراسة فرع النيل البيلوزي، وذلك لأهميته التاريخية والجغرافية والاستراتيجية، حيث يشكل مصب هذا الفرع والمستنقعات المحيطة به - المصافى النيلية - نهاية حدود الدلتا، بالإضافة إلى تشكيل وتحديد هيئة المدخل الشرقي لمصر خلال الفترات التاريخية المختلفة. ومن خلال دراسة نتائج أعمال الحفائر العلمية التي أجريت من قبل البعثات المصرية والبعثات الأجنبية في مواقع آثار منطقة شرق الدلتا وسيناء، يمكن رسم خريطة جيو-أثرية لمواقع الآثار طبقاً لتتابعها الزمني، وعن طريق الدمج بين المعطيات الأثرية والمعطيات الجغرافية والجيولوجية والتاريخية، يمكن تحديد مسار فرع النيل البيلوزي وروافده في الجزء الشمالي الغربي من سيناء.

إن الدمج بين جميع المعطيات السابق الحديث عنها والخرائط المقترحة لمسار فرع النيل البيلوزي من نقطة تفرعه مروراً بالعاصمة الملكية (Pr-ra-mss - قنتير) خلال عصر الرعامسة، وصولاً إلى تلال حبوه كما اقترحها وحددها بيتاك، ومن قناة السويس إلى المصب في الجزء الشمالي الغربي من سيناء كما حددها واقترحها علماء الآثار والجيولوجيين، وبين خريطة مواقع الآثار بمنطقة الجزء الشمالي الغربي من سيناء، يعطينا نتيجة مقترحة ومقبولة عن مسار فرع النيل البيلوزي، حيث الاحتمالات المطروحة لتطور مسار الفرع البيلوزي تتمثل في أربعة مراحل لتطور الفرع، تبدأ بالأقدم من الأقدم تجاه الجنوب وتتجه إلى الشمال وجميعها تصب في البحر المتوسط (Bietak M,1981,p.271-283). وهذا الدمج يقوم على أساس الربط بين المعلومات الأثرية والجيولوجية المتاحة وبين العمل الحقل بالمنطقة، وهذه المراحل على النحو التالي (خريطة - ٣):

- **المرحلة الأولى:** يبدأ المسار الرئيسي للفرع البيلوزي في التفرع عند جزيرة الوراق الحالية (Ball J,1942,p.25)، مروراً بموقعي تل الضبعة وقنتير، وإلى الشمال الشرقي من الموقعين تبدأ المراحل المختلفة بعد ذلك. حيث يصل الفرع في المرحلة الأولى إلى شمال القنطرة شرق لينتهي مروراً بين موقعي تل حبوة ١ وتل حبوه ٢، ثم يتجه إلى الشمال الشرقي من حبوه ١ ليصب في البحر المتوسط. يمكن تأريخ مسار الفرع الرئيسي بداية من عصر الانتقال الثاني وحتى نهاية عصر الدولة الحديثة*. يُعتقد أن الفرع الرئيسي يتفرع منه رافد (الرافد الجنوبي) يمتد في اتجاه الشمال الشرقي ليصل إلى تل البرج ثم يتجه إلى الشرق حيث يصب في البحيرة الشرقية المنذرثة والتي تقع شرق تل حبوة، وطبقاً لمواقع الآثار المكتشفة والدراسات التي أجرتها البعثة الأمريكية بتل البرج فإنه يمكن تأريخ الرافد الجنوبي بمنتصف الدولة الحديثة وحتى نهايتها*.

- **المرحلة الثانية:** خلال هذه المرحلة يرجح أن الفرع البيلوزي ينقسم إلى مسارين، مسار يقع إلى الشمال من مسار المرحلة الأولى، حيث يبدأ مروراً بتل فرعون ثم يمتد ليصب في البحر المتوسط، أما المسار الآخر فيمتد مروراً بتل فرعون وشمال تل دفنه، حيث تظهر معالمه على الطبيعة شمال تل دفنه كما حدده بترى (Petrie W. F.,1888,pl.XLIII). وكما ظهر

* مواقع الآثار المكتشفة حول مسار المرحلة الأولى بداية من تل الضبعة (أفريس) العاصمة الملكية للهكسوس، وأحد الأحياء المهمة خلال الدولة الحديثة، وموقع قنتير (بر رمسيس) العاصمة الملكية خلال عصر الرعامسة، وصولاً إلى تلال حبوة (١ - ٢ - ٣ - ٤)، وهي مواقع مؤرخة بنهاية عصر الانتقال الثاني حتى نهاية عصر الدولة الحديثة، وتل البرج تؤرخ بمنتصف الأسرة (١٨) ونهاية عصر الدولة الحديثة. ** كشفت البعثة الأمريكية العاملة بتل آثار البرج - شمال سيناء عن هذا الرافد، وحددت مساره بناء على المعطيات الأثرية والجيولوجية، وذلك عن طريق عمل مجسات اختبارية متقاطعة مع مسار الرافد، وتمكنت البعثة من تأريخ هذا الرافد بدقة إلى منتصف الأسرة ١٨ ونهاية عصر الدولة الحديثة، بينما بداية تفرع رافد تل البرج مازالت غير محددة. (Hoffmeier (2006), p.171)

في صور القمر الصناعي وحددته حفائر الإنقاذ عام ٢٠١٥، وهو نفسه المسار الرئيسي للمرحلة الأولى. وترجح أعمال المسح الأثري والحفائر بالجزء الشمالي الغربي من سيناء انه ربما حدث إطماء للمسار منذ نهاية عصر الدولة الحديثة، ثم عاد مرة أخرى في جريانه*، ويؤرخ طبقاً لمواقع الآثار المكتشفة علي ضفافه بعصر الأسرة (٢٦)**، بالإضافة إلى وجود موقعين آخران يطلان علي البحيرة الشرقية التي ينتهي إليها المسار وهما تل الكدوة حيث كشف الأثري هشام حسين عن بقايا قلعة جديدة بالإضافة إلى بقايا قلعة مكتشفة بداية الثمانينات تؤرخ جميعها لعصر الأسرة ٢٦ بالإضافة إلى الكشف عن رأس تمساح (موسم حفائر ٢٠٠٨) (Hesham Hussein, 2015, p.1-31). أما تل الغابة عثر به على تجمع سكني وأكوخ للصيادين ترجع لنفس العصر (Basilico Susanna-Lupo, 2004, p.15)، واللقى الأثرية المكتشفة تشير إلى وجود الفرع البيلوذي بالمنطقة.

- **المرحلة الثالثة:** تبدأ هذه المرحلة بعد مرور الفرع الرئيسي بتل آثار فرعون حيث يتجه إلى الشمال من المرحلة الثانية، ويرجح الباحثون طبقاً للمعطيات الأثرية ان الفرع البيلوذي يصل إلى شمال القنطرة شرق مروراً بتل الغرزة، ثم تل المفروق، ثم يتجه إلى الشمال والشمال الشرقي. وطبقاً للحفائر العلمية التي أجريت في المواقع الأثرية سالفة الذكر الواقعة على ضفاف مسار الفرع البيلوذي فان هذه المرحلة يرجح أنها ترجع إلى العصر البطلمي. حيث كشف (Petrie) عن طبقة أثرية (Level) تؤرخ بالعصر البطلمي بتل فرعون (Petrie W.F., 1888, p.25)، بالإضافة أن تل الغرزة – شمال سيناء تم تأريخه بالعصر البطلمي (Chartier-Raymond Maryvonne et Claude Traunecker, 1993, p.25; Verreth Herbert, 2006, p.884) العاملة بتل المفروق عن تجمع سكني بطلمي صغير شيد على ضفاف الفرع البيلوذي (Ballet P., 1997, p.47-55)، وعثر الأثري محروس عبد الله أثناء العمل في تل المفروق على عدة هياكل لتماسيح موسم ١٩٩٣م.

- **المرحلة الرابعة:** وهي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الفرع البيلوذي، تمتد إلى الشمال من المراحل السابقة، حيث يبدأ المسار بعد تل فرعون ويتجه أقصى الشمال ليصل جنوب تل الفضة، حيث يتفرع منه رافد يتجه شمالاً، ويقع تل الفضة على الضفة الشرقية لهذا الرافد، أما الفرع الرئيسي فيستمر في اتجاه الشمال الشرقي ليصل إلى تل اللولى، ويتجه شمالاً إلى أن يصل جنوب تل مسلم حيث يتفرع منه رافد آخر يمتد شمالاً، ويستمر الفرع الرئيسي في التقدم شرقاً إلى أن يصل شمال تل الفرما، ويمتد ليصب شمال شرق تل المخزن.

* افتراضية إطماء الفرع البيلوذي خلال نهاية الدولة الحديثة يدعمها عدد من الأدلة الأثرية المتعلقة بانتشار المواقع المؤرخة خلال مسار الفرع البيلوذي بالجزء الشمالي الغربي من سيناء. بينما ترى Irene Forstner-Muller رئيسة البعثة النمساوية بتل الضبعة، أن تحول مواقع عصر الدولة الحديثة من مسار الفرع البيلوذي إلى مسار الفرع الثانيسي خلال نهاية عصر الدولة الحديثة، ربما يرجع إلى أسباب سياسية وليس تغير في مجرى النهر أو إطماء الفرع البيلوذي (محادثة شخصية)، ويرجح ثبوت إلى الرأي الأول.

** تؤرخ جميع التلال الأثرية التي تقع علي ضفاف الفرع البيلوذي في هذه المرحلة بعصر الأسرة ٢٦، حيث عثر بتل آثار فرعون علي مستوطنة عسكرية ومقابر، وأيضاً عثر بموقع آثار تل دفنة علي معبد ومخازن ومنشآت سكنية، وعثر بتل حبوه ١ وتل حبوه ٢ علي معبد ومقابر ومستوطنة عسكرية تعود إلي نفس العصر بالإضافة إلى ما تم العثور عليه بتل آثار الكدوة وتل آثار الغابة بشمال سيناء.

٥. مراحل تطور ساحل البحر المتوسط بالجانب الشمالي الغربي من سيناء:

تتضح مراحل تطور ساحل البحر المتوسط في المنطقة الواقعة أقصى الشمال الغربي من سيناء من خلال دراسة صور القمر الصناعي على مدار عدة سنوات مختلفة ، بالإضافة الى دراسة عينات التربة باستخدام كربون ١٤ ، حيث توصل العلماء إلى أن ساحل البحر المتوسط في منطقة شرق الدلتا مر بمراحل تطور متعددة، وذلك نتيجة لحدوث حركة رفع تدريجية وخفيفة تعرضت لها الأجزاء الشرقية من الدلتا، أدت الى تعديل انحدار السطح فأصابته بالاضمحلال ثم الزوال حتى التلاشى فروع النيل الأقصى شرقاً، بينما زادت من قوة ونمو الفروع الغربية (Marcolongo B.,1992,p.23-31,fig.1.;Stanley Jean-Daniel,Bernasconi Maria Pia,Jorstad T. F., 2008,p.451-462; Lyons H. G.,1906,p.348-349) وعن طريق الدمج بين نتائج تأريخ المواقع الأثرية المكتشفة بالمنطقة والدراسات التي أجريت في هذا الصدد ، يتضح لنا أن ساحل البحر تطور وانحسر في اتجاه الشمال ربما على ثمانية مراحل (خريطة - ٣) حتى استقر على وضعه الحالي، كل مرحلة من هذه المراحل كانت تمثل خط الساحل خلال فترة تاريخية محددة، هذا بالإضافة إلى وجود عدد من البحيرات والمستنقعات التي تم تحديدها، منها البحيرة الشرقية والبحيرة الغربية بمحيط تلال حبة. ومنذ العصر البطلمي وحتى العصر الروماني تحولت هذه البحيرات إلى مستنقعات (Chartier-Raymond Maryvonne et Claude Traunecker, 1993 fig.2; Moshier S. O., and El-Kalani A., 2008, p.470-471).

الخلاصة

من خلال الطرح السابق يتضح أن مسار الفرع البيلوزي لم يكن ثابت بدرجة كافية لتكوين مدينة مهمة وضخمة تستمر لقرون طويلة، وكباقي الفروع يعتمد الفرع البيلوزي كلياً في جريانه على استمرار تغذيته بالمياه من الشريان الرئيسي، وإذا حدث خلل في تدفق المياه فانه يؤثر بالسلب على التجمعات السكنية والمدن والقرى المشيدة على ضفافه، ذلك لاعتمادها الكلي على مياهه في الري والمواصلات وسائر نواحي الحياة، فيؤدي ذلك إلى تحول تل المدن والقرى إلى فروع أو روافد أخرى*، ودليل ذلك تحول مدينة الرعامسة - بررمسيس من موقع قننير إلى موقع صان الحجر خلال بداية من الأسرة الحادية والعشرين، بعد أن جف الفرع البيلوزي وتحولت مياهه للفرع الثاني، وايضاً ظهور واندثار المدن بالجزء الشمالي الغربي من سيناء. ويتضح من خلال دراسة الخرائط الكنتورية وجود قناة تربط بين الفرع البيلوزي والفرع الثاني (خريطة - ٣) والتي يمكن تأريخها من خلال القرى والمستوطنات السكنية المشيدة على ضفافها بالأسرة الثانية والعشرين (Bietak M.,1975,p.18) ، وهذه القناة يرجح أنها حولت مياه الفرع البيلوزي إلى الفرع الثاني (Bietak M., 1981,p. 278).

كان فرع النيل البيلوزي خلال فترات زمنية محددة يصب ويندمج في الفرع الثاني، بينما في فترات أخرى تحول واندمج الفرع الثاني بالفرع البيلوزي (Bietak M., 1981, p.277) ، ويبرهن علي ذلك غياب المستوطنات السكنية في فترات تاريخية محددة من علي ضفاف الفرع البيلوزي خلال مراحلها المتعددة. ويتضح من خلال العمل الحقلية في مواقع الآثار غياب عصر الانتقال الثالث من خريطة المواقع الأثرية بسيناء، ومع بداية العصر الصاوي حصل إعادة إحياء للفرع البيلوزي، عادت على إثره

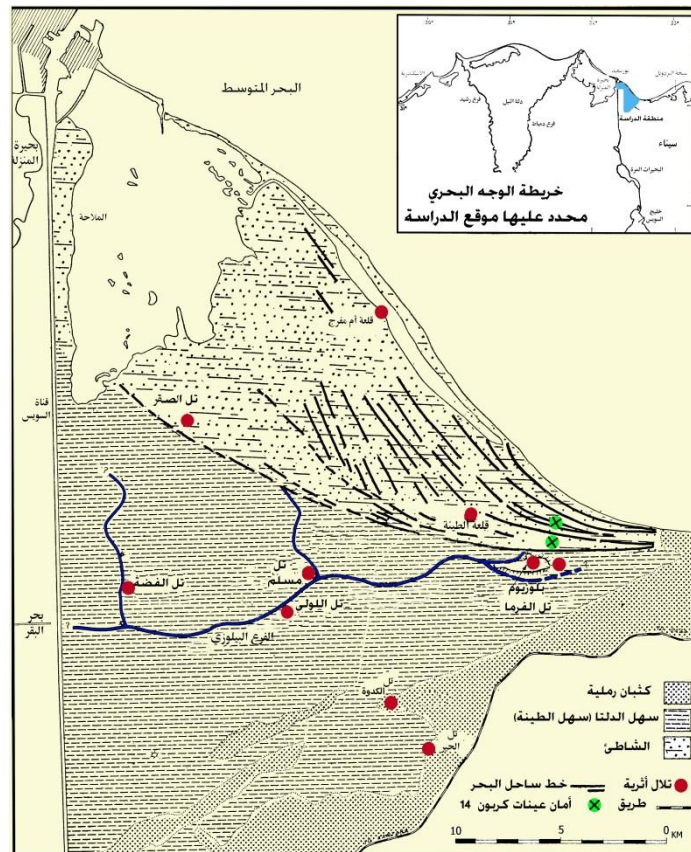
* من أسباب الخلل حدوث حركة رفع (Uplift) خفيفة وتدرجية تعرضت لها الأجزاء الشرقية من الدلتا نتج عنها انصراف مياه الفروع الأقصى شرقاً إلى الفروع الأخرى ، بالإضافة إلى عدم الاعتناء بتلك الفروع فتعرضت للإطماء السريع.

المستوطنات البشرية والمواقع الأثرية إلى الظهور مرة أخرى ، وهذا يؤكد نظرية تحول مسار الفرع البيلوزي إلى الفرع التانيسي وانتقال العاصمة الملكية من بررمسيس (قنتير) إلى تانيس (صان الحجر)، أما خلال العصر البطلمي والعصر الروماني حدثت عملية إعادة إحياء مرة أخرى للفرع البيلوزي مما ساعد على زيادة النشاط البشري وانتشار المواقع الأثرية علي ضفافه في مراحل الفرع البيلوزي المختلفة. نلاحظ أيضا أن المرحلة الثانية والثالثة المقترحة لمسار الفرع البيلوزي لم تكن بنفس قوة واستمرار المراحل الأخرى.

الخرائط والصور

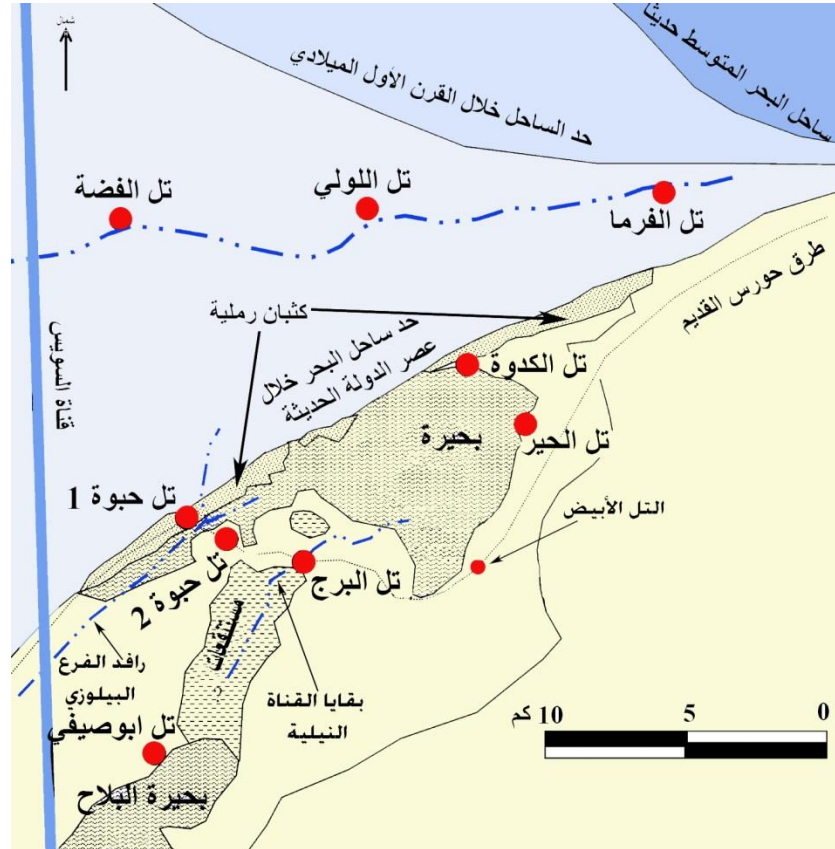
خريطة (1)

الجزء الشمالي الشرقي من الدلتا (سهل الطينة) موضح عليها مسار الفرع البيلوذي وخط الساحل نقلاً عن: [Sneh (1973) , fig.2] تمت ترجمة الخريطة بواسطة الباحث: هشام محمد حسين



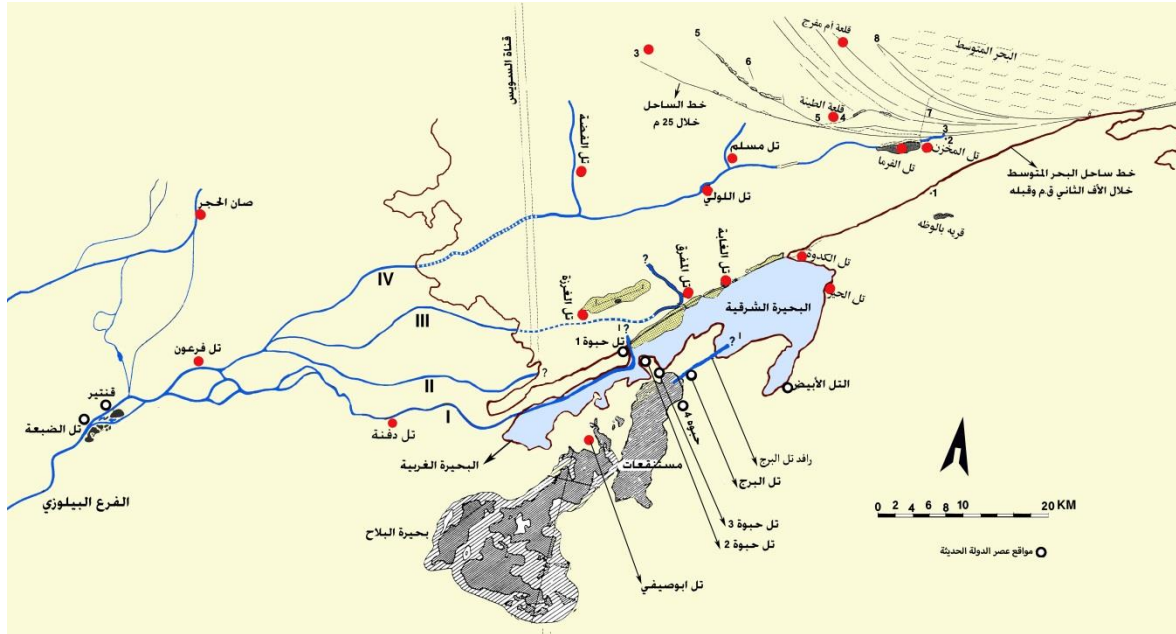
خريطة (٢)

الجزء الشمالي الشرقي من الدلتا (منطقة سهل الطينة) موضح عليها البحيرات القديمة والفرع البيلوزي نقلاً عن: [Moshier (2008),fig.12] تمت ترجمة الخريطة بواسطة: هشام محمد حسين



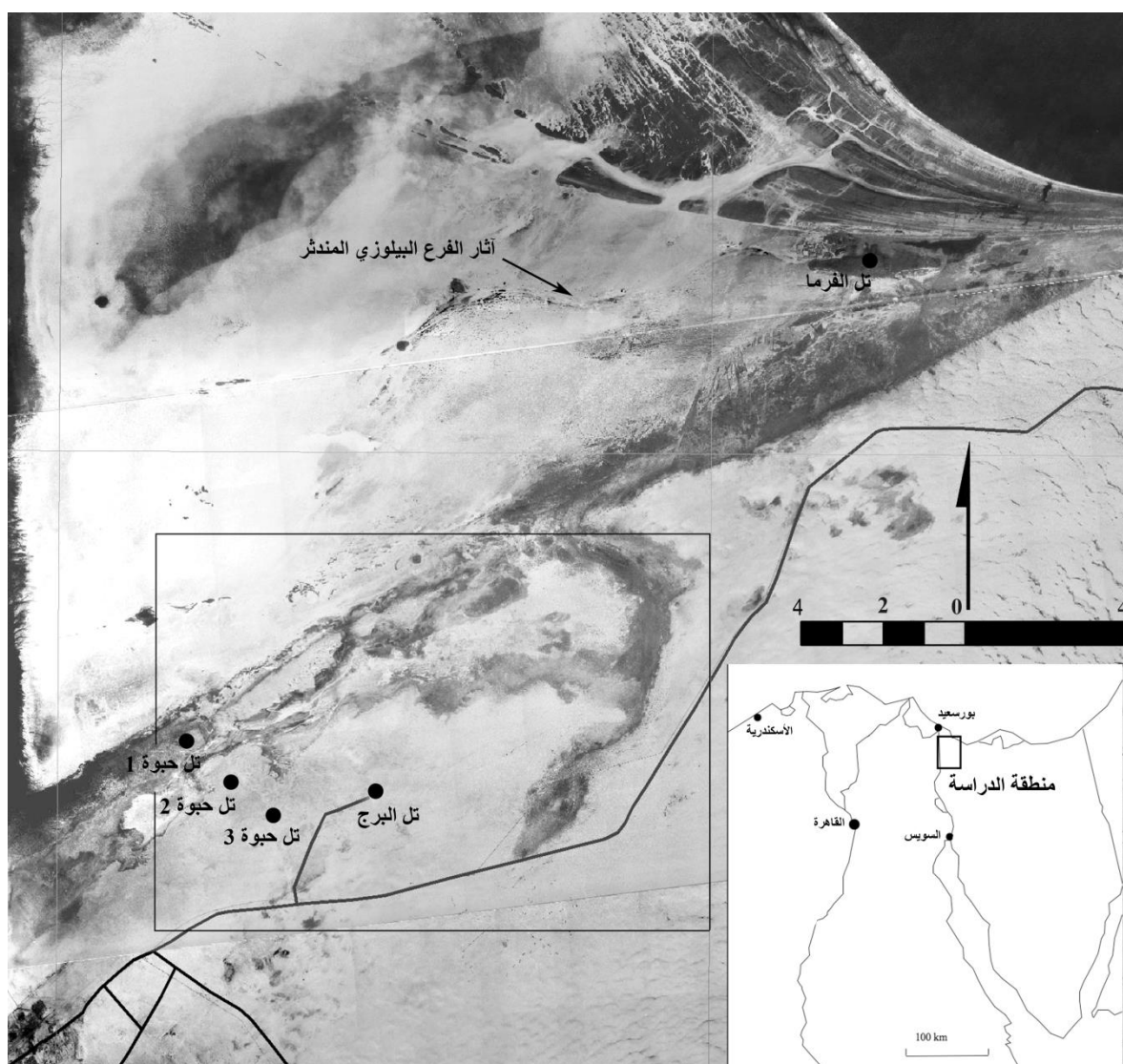
خريطة (٣)

خريطة مقترحة لمراحل تطور مسار الفرع البيلوزي وروافده بواسطة هشام محمد حسين



صورة (١)
الجزء الشمالي الشرقي من الدلتا (منطقة سهل الطينة) موضح عليها مسار الفرع البيلوزي

نقلًا عن: [Moshier, 2008,fig.1]



قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

- ١- جمال حمدان ، ١٩٦٧م ، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان – الجزء الأول - القاهرة - دار الهلال.
- ٢- محمد رمزي ، ١٩٩٤ ، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية القسم الأول البلاد المدرسة – الهيئة العامة للكتاب.
- ٣- أحمد زكي بك ، ١٨٩٩ ، القاموس الجغرافي القديم بالعربي والفرنساوي – المطبعة الأميرية.

المراجع المترجمة:

- ١- علماء الحملة الفرنسية ، ١٩٨٤ ، وصف مصر - الجزء الثالث – ترجمة زهير الشايب – دار الشايب للنشر.

- 1- Ball J., 1942, Egypt in the classical geographers, (Cairo).
- 2- Ballet P., 1997, Tell Al-Moufarig, in: CCE 5, IFAO, (le Caire).
- 3- Basilico Susanna-Lupo, 2004, the final stage and abandonment of Tell el-Ghaba, North Sinai: a site on the Egyptian eastern border, in: IXe Congres International des Egyptologues, 6-12 September 2004, Grenoble – France. Resume des communications, (France).
- 4- Bietak M., 1975, Tell El-Dab'a II, Vienna: Österreichischen Akademie der Wissenschaften, (Wien).
- 5- Bietak M., 1981, Avaris and Piramesse, Archaeological Exploration in the Eastern Nile Delta, (Oxford University Press).
- 6- Bietak M., 1996, Avaris, the Capital of the Hyksos. (London).
- 7- Burton A., 1972, Diodorus Siculos, Book I: A commentary, (Leiden).
- 8- by Gelzer H., 1890, Gorge Cyprius, (Leipzig).
- 9- Chartier-Raymond Maryvonne et Claude Traunecker, 1993, "Reconnaissance archéologique à la point Orientale du Delta Campagne 1992" in: CRIPLE 15.
- 10- Gardiner A., 1968, Ancient Egyptian Onomastic, Oxford, II.
- 11- Guest A. R., 1912, "The Delta in the Middle Ages: note on the branches of the Nile and the Kurahs of lower Egypt."
- 12- Hesham Hussein, 2015, The Way(S) of Horus in the Saite Period: Tell El-Kedwa and its Key Location Guarding Egypt's Northeastern Frontier, Journal of Ancient Egyptian Interconnections, 7:1.
- 13- Hoffmeier J. K. & Moshier S. O., 2006, "New Paleo-Environmental Evidence from North Sinai to Complement Manfred Bietak's Map of the Eastern Delta and Some Historical Implications," in Timelines: Studies in Honour of Manfred Bietak II (Leuven: Peeters).
- 14- Lyons H. G., 1906, The physiography of the river Nile and it's basin, (Cairo).
- 15- Marcolongo B., 1992, Évolution du paléo-environnement dans la partie orientale du Delta du Nil depuis la transgression flandrienne (8000 B.P.) par rapport aux modèles de peuplement anciens, Cahiers de Recherches de l'Institut de Papyrologie et Egyptologie de Lille 14.
- 16- Mortimer Wheeler, 1979, archaeological lecture, Reprinted from: Proceedings of the British Academy, vol. LXV (London).
- 17- Moshier S. O., and El-Kalani A., 2008, "Paleogeography along the ancient Ways of Horus (late Bronze Age) in northwest Sinai, Egypt", Geoarchaeology 23.
- 18- Petrie W. F., 1888, Tanis. Part 2, Nebesheh (Am) and Dafenneh (Tahpanhes). (London).
- 19- Sneh A., and Weissbrod T., 1973, " Nile Delta: The Defunct Pelusiatic Branch Identified ", Science, New Series, Vol. 180, No. 408.

- 20- Stanley Jean-Daniel, Bernasconi Maria Pia, Jorstad T. F., 2008, "Pelusium, an ancient port fortress on Egypt's Nile Delta coast: Its evolving environmental setting from foundation to demise", Journal of Coastal Research 24, No.2.
- 21- Strabo's Geography, 1903, translated from Greek by Falconer W., (London), vol. XVII.I.5.
- 22- Toussoun, O., 1922, "Mémoires sur les anciennes branches du Nil Époque Ancienne. MPIE, t.4,1922
- 23- Tr. Macaulay G. C., 1890, The History of Herodotus, parallel English/Greek, ii,17
- 24- Valbelle D., and Others, 1992, "Reconnaissance archéologique à la pointe orientale du Delta Rapport préliminaire sur les saisons 1990-1991", Cahiers de Recherches de l'Institut de Papyrologie et Egyptologie de Lille 14.
- 25- Verreth Herbert, 2006, The Northern Sinai from the 7th century BC till the 7th century AD. A Guide to the sources, unpublished PhD, Leuven 2006.Verreth.

The Nile branch of Belousi during the New Kingdom period

Eman Ahmed Nor el-Din

emanaa62@gmail.com

Faculty of Arts and Humanities, Suez-Canal University

Hesham Mohamed Hussein

echam.husein@gmail.com

The Ministry of Tourism and Antiquities

Abstract:

The Nile River has gone through many stages and fluctuations that affected the social, political and historical life in Egypt, where the development of the Nile branches had a clear impact on the selection of the locations of cities, villages and residential communities in the Nile Delta region. Through the ages. This is in addition to the role played by the development of the Mediterranean coast in changing the shape of the delta and the branches of the Nile, as well as the emergence of new cities and the disappearance of other cities. The research will focus on highlighting the path and role of the Nile Belousi branch during the era of the modern state, which is one of the most important extinct branches of the Nile River.

The Belousi branch is one of the three main branches of the Nile, but it is a extinct branch. Its mouth is located in the far east. It was mentioned by many historians and geographers in the classical times, but in the Middle Ages it was not mentioned. The Belousi branch was navigable until 332 BC, when Alexander entered Egypt, where he entered his fleet through the branch.

Key words:

The Belozian Nile branch, The new Kingdom Period, The Northwestern region of Sinai, The Mediterranean coast, The Tennessee branch